

تفسير ابن كثير

بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ
مِنْ عِبَادِهِ طَبَّاءُ وَبَغَضَ عَلَيْهِ غَضَبٌ جَ وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ

قال مجاهد : (بئسما اشتروا به أنفسهم) يهود شروا الحق بالباطل ، وكتمان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بأن يبينوه . وقال السدي : (بئسما اشتروا به أنفسهم) يقول : باعوا به أنفسهم ، يعني : بئسما اعتاضوا لأنفسهم ورضوا به [وعدلوا إليه من الكفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم إلى تصديقه ومؤازرته ونصرته] . وإنما حملهم على ذلك البغي والحسد والكراهية (أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) ولا حسد أعظم من هذا . قال ابن إسحاق عن محمد ، عن عكرمة أو سعيد ، عن ابن عباس : (بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) أي : إن الله جعله من غيرهم (فباءوا بغضب على غضب) قال ابن عباس : فالغضب على الغضب ، فغضبه عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة وهي معهم ، وغضب بكفرهم بهذا النبي الذي أحدث الله إليهم . قلت : ومعنى (باءوا) استوجبوا ،

واستحقوا ، واستقروا بغضب على غضب . وقال أبو العالية : غضب الله عليهم بكفرهم
بالإنجيل وعيسى ، ثم غضب عليهم بكفرهم بمحمد ، وبالقرآن عليهما السلام ، [وعن
عكرمة وقتادة مثله] . قال السدي : أما الغضب الأول فهو حين غضب عليهم في العجل ،
وأما الغضب الثاني فغضب عليهم حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم [وعن ابن
عباس مثله] . وقوله : (وللكافرين عذاب مهين) لما كان كفرهم سببه البغي والحسد ،
ومنشأ ذلك التكبر ، قوبلوا بالإهانة والصغار في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى : (إن
الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) [غافر : 60] ، [أي : صاغرين
حقيرين ذليلين راغمين] . وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، حدثنا ابن عجلان ، عن
عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يحشر
المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس ، يعلوهم كل شيء من الصغار حتى
يدخلوا سجنا في جهنم ، يقال له : بولس فيعلوهم نار الأنيار يسقون من طينة الخبال :
عصارة أهل النار " .